

إحياء علوم الدين

ا] تعالى إذا أردت أن أخرج الدنيا بدأت ببיתי فخريته ثم أخرج الدنيا على أثره // حديث قال ا] إذا أردت أن أخرج الدنيا بدأت ببיתי فخريته ثم أخرج الدنيا على أثره ليس له أصل // فضيلة المقام بمكة حرسها ا] تعالى وكراهيته .
كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة .

الأول خوف التبرم والأنس بالبيت فإن ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقه القلب في الاحترام وهكذا كان عمر B يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر B بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت .

الثاني تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العودة فإن ا] تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا .
وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر .

وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان هو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ويقال إن ا] تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى ا] D .

الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإن ذلك مخطر وبالحرى أن يورث مقت ا] D لشرف الموضع .

وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى ا] أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفض انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه .

وقال ابن مسعود B ما من بلد يؤخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أي أنه على مجرد الإرادة .

ويقال إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس B يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لأن أذن سيعين ذنبا بركية أحب إلي من أن أذن ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف والخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أن لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة .

وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض .

وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقام به أفضل أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيئات وكيف لا ولما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله تعالى إلي ولولا أنني أخرجت منك لما خرجت // حديث إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله ﷺ إلى الله ﷻ ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت أخرجه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء // وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد . ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ A فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال A صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام // حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث ابن عمر // وكذلك كل عمل بالمدينة بألف